أشهر المواقع الفنية في العصر الحجري القديم

لقد ترك انسان العصر الحجري اعماله الفنية من رسم ونحت في عدد من الكهوف والملاجئ الصخرية المنتشرة في اقطار ومناطق شاسعة من العالم. ولحد الان يعد القسم الجنوبي الغربي من أوروبا أفضل منطقة في العالم تضم مخلفات الانسان الفنية من هذه الحقبة، وقد تم العثور على أشهرها في كهوف فرنسية واسبانية وبعدها تأتي قارة أفريقيا. وتعرف منطقة الكهوف في اوروبا التي تضم الكثير من الرسوم والمنحوتات باسم (فرانكو كانتبريان)، التي تمتد من فرنسا – حيث وادي الرون والدوروون وجبال البرنس وهي الحدود الطبيعية بين فرنسا واسبانيا– الى شمالي اسبانيا حيث جبال كانتريا وهي امتداد لسلسة جبال البرنس، وتتجلى اهمية هذه المنطقة في انها حفظت لنا نتاجات فنية كثيرة ومهمة موزعة في مجموعات كبيرة من الكهوف والملاجئ الصخرية نذكر منها كهوف (لاسو) و (دي كوم بيرنن بير) في فرنسا وكهوف (التامير) في اسبانيا، فضلا عن ذلك هناك عدد من الكهوف المهمة في ايطاليا بالقرب من صقلية، وفي النمسا وروسيا وجيكوسلوفاكيا.

أما في قارة افريقيا فقد ترك انسان العصر الحجري القديم اعماله الفنية في عدد من الكهوف والمغاور الصخرية المنتشرة في شمال القارة وجنوبها، حيث تتركز اغلب الكهوف في جبال (أطلس) وفي المغاور الصخرية في (فزان) وهضبة (تبستي) جنوب ليبيا، ووادي (ديارات) ومنطقة (الحجار) وهضبة (تشيلي) جنوبي ليبيا والجزائر.

مواد الرسم والنحت:

يقصد بمواد الرسم والنحت هي الخامات الاساسية التي استعملها الانسان القديم في أعماله الفنية، وكذلك الآلات والادوات التي صنعها وكيَّفها واستخدمها في تنفيذ نتاجاته الفنية من رسوم ومنحوتات وقد كانت اغلب هذه المواد عبارة عن مواد بسيطة كان يحصل عليها من الطبيعة ويقوم بإجراء بعض التحويرات عليها في سبيل جعلها صالحة لتنفيذ اعماله الفنية.

لقد كانت جدران الكهوف وسقوفها أفضل اوراق الرسم والواح الحجر لدى رسامي ونحاتي العصر الحجري القديم وكانت تترك على وضعيتها الطبيعية حيت تنفذ الرسوم والمنحوتات البارزة

عليها مباشرة دون اي اصلاح او تحوير او تحسين يجري عليها بوصفها تشكل أرضية للمشاهد، فكانت تتوزع بشكل فوضوي لتشمل أكبر مساحة من جدران الكهوف وسقوفها وكانت بعض المشاهد المرسومة تظهر في أماكن عميقة في الكهوف وعالية على الجدران. ونفذ الانسان اغلب مشاهد النحت البارز على عظام الحيوانات وقرونها وانيابها العاجية اما فيما يتعلق بأصباغ الرسوم التي امتازت بثباتها اذ ماتزال جدران الكهوف تحتفظ بلوحات ملونة رسمها اقدم فناني التاريخ قبل عشرات الآلاف من السنين، فلعل اكثر الوان الرسوم شيوعاً هما اللونان الأحمر والاسود، ويرجح ان المواد الخام التي استعملت لإنتاج اللون الأحمر هي تربة اوكسيدية تحتوي على نسبة عالية من اوكسيد الحديد تعرف بالمغرة الحمراء ، وحجر الدم ودماء الحيوانات بعد قتلها اما اللون الاسود فيحتمل انه ناتج من فحم الخشب ونوعية من التربة تحتوي على نسبة عالية من خامات المنغنيز وعظام الحيوانات بعد حرقها.

كانت طريقة تحضير الصبغة تتم كما يظهر بمزج المادة الخام كتراب الحديد او المنغنيز او فحم الخشب او طحين العظام المحروقة كـــ (باودر) بشحم الحيوانات مزجا جيدا وربما استعملت دماء الحيوانات ومواد زلالية أخرى في تماسك هذه المواد الممزوجة وترابطها لعل الإنسان القديم استخدم الماء في تخيف الصبغة وجعلها بشكل سائل صالح للرسم والألوان الناتجة عن هذه المواد تعتمد حدتها على الكمية المذابة منها بالماء وعلى مدى تعرضها للضوء والحرارة والرطوبة والهواء داخل الكهف ولذلك تنوعت الألوان منها بين الأسود والأحمر والبني الغامق والبني الفاتح والأسمر. أما ما يتعلق بالأدوات والآلات التي نفذ بها الفنان الأول رسومه ومنحوتاته، فإننا بالنسبة للرسم لا نملك أدلة مؤكدة لتحديد الأداة، ولكن من المحتمل جداً أنه استخدم أصابع اليد وجلود الحيوانات ذات الفراء أو حزمة من شعر الحيوانات وربما ريش الطيور بمثابة الفرشاة في إنجاز رسومه، أما في النحت فهناك أدوات خاصة صنع بعضها من الأحجار وبعضها الآخر من العظام، وقد عثر على مجموعات منها في الكهوف والمواقع القديمة لاسيما في منطقة الدوردون في فرنسا.

ولعل أهم آلة نحت توصل إنسان العصر الحجري القديم الأعلى إلى صنعها هي إزميل الحفر والحز وهو بشكل سكين عريضة من الحجر ذات نهاية مدببة وقد مكنت هذه الآلة الإنسان القديم من صنع آلات أخرى من القرون والعظام استخدمت في النحت على العظام والقرون والأنياب العاجية.